جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية **قسم الفلسفة**

المستوى: السنّة الاولى ماستر....عربية اسلامية

الأستاذ: عكاك اسماعيل

محاضرات مقياس: مناهج فلسفية معاصرة

السنة الجامعية: 2022/2021

محاضرة المنهج الأركيولوجي

مفهوم المنهج:

مفهوم المنهج: في اللغة، يعرفه "ابن منظور" في لسان العرب على أن كلمة منهج من الفعل نهج بمعنى الطريق البين الواضح. ويقال فلان استنهج طريق فلان بمعنى سلك طريقه أو مشى على نهجه، والمنهج هو الطريق المستقيم.

أما "أفلاطون" فيرى بأنه البحث والنظر والمعرفة، فالمنهج اذن هو الطريق المؤدي إلى للكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة مجموعة من القواعد العامة. تهيمن على سير العقل وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

مفهوم المنهج الأركيولوجي:

الأركيولوجيا من حيث المصطلح، تعني العلم الذي يُعنى بدراسة الحضارات التي شَيَّدَها الإنسان قديمًا، باستعمال الأدوات والوسائل المختلفة، بهدف الحفر والتَّنقيب عن الآثار والمعالم التي خلَّفتها تلك الحضارات؛ أمَّا بالنِّسبة لـ"فوكو"؛ فإنَّه يستخدم هذا المفهوم للمنهج الذي وضعه في دراسته وتحليله للبنى المعرفيَّة الغربيَّة، حيث يُقِرُّ في أركيولوجيا المعرفة، أنَّه أطلق على منهجه "وبكيفية ربَّما رسميَّة إسم الحفريات، التَّي ستعمل على وصف الممارسات الخطابية بطريقة مخالفة لباقي المناهج التاريخية؛ ففي نظر "فوكو" أنَّ المناهج المعمول بها غير قادرة –أو لنقل قاصرة– على وصف الخطاب وتحليله بالكيفية اللَّازمة، وانطلاقا من هذا، يُبَرِّر "فوكو" اعتماده على المنهج الأركيولوجي في قوله: "فقد سبق أن وَجَدتُ مناهج كثيرة قادرة على

وصف اللُّغة وتحليلها، بحيث لا يمكن لأيٍّ كان أن يزهو بنفسه ويُعجب بها، مُدَّعيًّا أنَّه يُضيفُ منهجًا جديدا إليها.

أنَّ الأركيولوجيا لا تسعى للبحث عن البدايات الأولى، فهي ليست مبحثا جيولوجيا أو تنقيبيًّا، لأنَّ الوصف الأركيولوجي يسعى في أساسه إلى استنطاق المنطوقات أو العبارات المتمَثَّلة في الأرشيف؛ ويمكن القول أنَّ منهجية النَّقد الأركيولوجي، تسعى للكشف عن الأسس التاريخية التي تشكَّلت في ظلِّها الخطابات، من خلال تحليل القطائع (Les Ruptures) التي شهدتها مختلف الإبستيميات، بحكم أنَّ الخطاب هو ما تسعى الأركيولوجيا إلى وصفه وتحليله ودراسته، إضافة إلى أنَّها تهدف أساسا إلى وضع اليد على طريقة مُغَايرة في رصد نُظم المعرفة، عن طريق تحليل الخطاب في مستوى ظهوره وأفوله واندثاره، "ويتمثَّل ذلك في تصوُّر تاريخ الثَّقافات كما لو كان سلسلة من النُّظم المعرفية تتقاسم لفترات تاريخية دائرة الحقيقة"؛ وبهذا يكون التاريخ الأركيولوجي، دراسة نقدية لمختلف الخطابات التي شَكَّلت في فترة ما مركزيَّة الحقيقة، لأنَّ الأركيولوجيا بمثابة "وصف وتحليل للتاريخ العام لمجموع الممارسات الخطابية وغير الخطابية، فتحليليَّة تاريخ الخطاب فيها تخلِّي مطلق عن الشُّمولية التاريخية، لكنَّها في الوقت نفسه تُعنَى بمجموع الآثار الفعلية للخطاب عبر التاريخ"، إذ يَغْدُو التاريخ عبارة عن سلسلة من الأحداث المتقطِّعة، التي لا تعرف الاتِّصال أبدا، لكونها خاضعة لمبدأ الشَّتات والتَّبعثر؛ فكل مرحلة تاريخية، لها من الصِّفات والخصائص ما يجعلها تتميَّز عن باقي المراحل التي تليها؛ وبناءاً على هذا، تتَّجه الأركيولوجيا نحو تلك الإنفصالات التي يشهدها الخطاب، بالنَّظر إلى أهمِّيتها في بلورة خطاب الحقيقة.

فالإستراتيجية الفوكوية، تُسلِّط الضَّوء على المجال المعرفي في جميع مستوياته وتجلِّيَّاته، هذا ما يصطلح عليه "فوكو" بـ"الإبستمي"(épistémè) الذي يعني به: "مجموع العلاقات التي بإمكانها أن تُوحِّد في فترة مُعَيَّنة بين الممارسات الخطابية، التي تفسح المجال أمام أشكال ابستيومولوجيا وعلوم وأحيانا بمنظومات مُصاغة صُورِيًّا، إنَّها النَّمط الذي يَتِمُّ حسبه الانتقال داخل تشكيلة خطابية، إلى التَّنظير الإبستيمولوجي والعملية والصياغة الصورية

فالإبستيمي إذن، هو مجموع العلاقات المترابطة؛ التي من شأنها أن تُعطي الشَّرعية لمعرفة مُعيَّنة، أو لمجموع معارف ليصطلح عليها عِلمًا، وهي أيضا من يَمنح التَّأشيرة لظهور التَّنظيرات الإبستمولوجية، سواء في مستواها النَّظري أو العملي؛ وإضافة إلى ما سبق يمكن اعتبار الإبستيمي: "مجموع العلاقات التي يُمكننا الوقوف عليها في فترة ما بين العلوم فيما نُحلِّل مستوى انتظاماتها الخطابية". ولهذا تُحدَّد وظيفة المنهج الأركيولوجي، في كونه يسعى للكشف عن الأسس المعرفية التي قامت عليها معرفة عصر مُعَيَّن، من خلال تحليل سلسلة العلاقات القائمة بين مختلف العلوم؛ هذا ما يُؤَدِّي إلى تنقيَّة التاريخ الميتافيزيقي من مختلف مقولاته، ومن جُلِّ المظاهر التي تُوحِي بالذَّاتيَّة، وبالتَّالي إلغاء القداسة التي تُعطَى لمقولة الذات في التحليلات التاريخية.

وعلى هذا الأساس، جهد "فوكو" في عزل ووصف مختلف النُّظم المعرفية، التي تَرْتدُّ في حقيقة تاريخ تكوينها وظهورها، إلى ثلاث حِقْبَات كبرى في تاريخ الفكر الغربي، اصطلح عليها تباعا: عصر النهضة، العصر الكلاسيكي و العصر الحديث، دون أن يكون بين هذه المراحل أَيُّ استمرار أو اتِّصال، بل مُجرَّد فواصل وتقطُّعات (Des Ruptures). استنادا إلى هذا، سيعمل "فوكو" على تَتَبُّع مختلف المعارف التي تكوَّنت وظهرت في الحقب الزمانية الكبرى والمختلفة، تتبُّعًا تاريخيا وفقا لمنظور تحليلي أركيولوجي، كاشفا من خلاله عن البُنَى الدَّاخلية لمجمل الخطابات، بعيدا في ذلك عن السِّيَّاق التَّاريخي بالمفهوم الكلاسيكي الذي تعتمده المناهج الأخرى؛ خصوصا أنَّ "فوكو" في معرض تحليلاته، لا يفتأ أن يَصف تلك المناهج المعتمدة في تحليل المنظومات المعرفية التي تَشكَّلت عبر التاريخ، بأنَّها قاصرة أو عاجزة عن الوصف الدَّقيق،

فالمهمَّة الأساسية للأركيولوجيا، ليست مُتمحورة في البحث عن الأفكار والمعارف التي من شأنها أن تظهر أو تختفي في خطاب ما، بل إنَّ غايتها تتجسَّد في "تحديد هذه الخطابات من حيث هي ممارسات تحكمها قواعد مُعيَّنة، فهي تنظر للخطاب على أنَّه وثيقة"، فيكون معول التَّحليل الأركيولوجي، مُوجَّهًا إلى مختلف البنى الخطابية، بمعنى أنَّ الخطاب يُعتبر مادَّة

الوصف الأركيولوجي، لكونه موضوع البحث والدِّراسة، شريطة أن يتمَّ التَّمييز بينه وبين الوثيقة، لأنَّ الأركيولوجيا تُلغي دور الوثيقة في عملية البحث التاريخي، لكونها ليست مبحثا تأويليا يسعى لإنتاج خطاب من خطاب آخر يُعتبر أوَّليا، بل إنَّ الأركيولوجيا تُعنَى بالخطاب باعتباره نُصْبًا أثريًّا قائما بذاته، له تجلِّياته وآليَّاته وإستراتيجيته في الممارسة.

إضافة إلى هذا، يرى "فوكو" أنَّ ينفي فوكو أن تكون الأركيولوجيا تسعى للبحث عن مظاهر التَّواصل أو الاستمرارية بين الخطابات في الحقب المختلفة، والسَّعي إلى تحديد لحظة البداية والتَّغيُّر في خطاب ما، بل ينحصر دورها في: "تحديد الخطابات في خصوصيَّتها، وفي تَتبُّع تلك الخطابات من خلال مظاهرها الخارجيَّة وفي صُوَّرها الذَّاتية، لأنَّ غايتها تحليل الفوارق والاختلافات بين صِيَّغِ الخطاب ووجوهه، بعيدا في ذلك عن الإهتمام بتاريخ الاستمراريَّة، الذي يُعْتَبَرُ من قبيل التاريخ الأسطوري؛ ومن هذه النقطة يُؤسِّسُ "فوكو" لفكرة أساسية في وصف الخطاب، وهي القطيعة أو الانفصالية (La Rupture)، التي تُلغِي معها مقولة الذَّات كمحور في تحليل الأرشيف.

زيَّادة على ما سبق، تتميَّز الأركيولوجيا بخصائص تجعل منها منهجا مغايرا لباقي المناهج التاريخية والنقدية، تَتمثَّل في إسقاط الأثر وعدم الإعلاء من شأنه، وإنَّما البحث عن اللَّحظة التي يظهر فيها، بعيدا في ذلك عن ربطه بالذات التي أنتجته، سواء منفردةً أو مجتمعة، عن طريق عزل الأحداث الخطابية عن سِيَّاقها الاجتماعي والنَّفسي على السواء، لأنَّ "الإلحاح على دور الذَّات المبدعة، واعتبارها علَّة وجود الأثر ومبدأ وحدته، أمر لا تُقرُّ عليه أركيولوجيا المعرفة"، فمهما كان نوع الخطاب، يجب النَّظر إليه على أنَّه نصٌّ كباقي النُّصوص الأخرى، دون إضفائه بهالة من القداسة، تجعل من جوهر ممارساته مغطًّى بِحُجُبٍ لا يتمكَّن الباحث الأركيولوجي من إدراكها، فالأركيولوجيا تُلغِي كلَّ الاعتبارات الذَّاتية والأيديولوجية، مهما كان مصدرها، وبهذا يصل التاريخ إلى تحقيق الموضوعية، متجاوزا نسقيَّة التَّحليل الميتافيزيقي.

آخر الخصائص التي يُفردها "فوكو" للأركيولوجيا، نفيه أن تكون محاولة "لترديد ما قيل، من خلال التَّعمق في ماهيَّة الخطاب وهويَّته"، فالوصف الأركيولوجي ليس تكرارا لخطابات قد تَبلورت، ولا إعادة صيَّاغتها بلغة مخالفة، ولا يكون ذلك إلَّا بنزع تلك الصِّلة الوثيقة بين المؤلَّف وأثره، بتجاهل هدف الكشف عمَّا أراد أن يقوله البشر من خلال ما كانوا يُفَكِّرون فيه؛ لأنَّه عادة ما يتحوَّل التحليل إلى دراسة الجانب السيكولوجي أو السوسيولوجي، وهذا ما يُبعد النَّص عن سياقه الذي وُضِعَ فيه، كون التحليل الأركيولوجي لا يسعى للكشف عن البنية النفسية للنَّص، من خلال ربطها بالمؤلف؛ فالتَّعامل يكون مع الخطاب مُنعزلا، بمعنى أنَّ الخطاب كأرشيف، مختلف عن باقي العناصر الأخرى، التي من شأنها أن تُبعِده عن سياقه الحقيقي، ويكون ذلك بتحليل منطوقات الخطاب، و الكشف عن آثارها ومدى ارتباطها بالواقع الذي ظهرت فيه.

من خلال أهمِّ الخصائص التي تتميَّز بها الأركيولوجيا، نلاحظ بأنَّها تَبرُز كمنهج قائم بذاته، مُتميِّز عن بقيَّة المناهج التي تُعنى بدراسة التُّراث الإنساني، فهي وصف منتظم للخطاب الذي يُعتبر موضوعها ومادَّة دراستها؛ إضافة إلى أنَّ تلك المبادئ التي تُميِّز الأركيولوجيا، نلمس فيها انسجاما وتناسقا إلى أبعد الحدود، فكلُّ خاصيَّة سنجد بأنَّ لها فاعليَّة في وصف البنى المعرفية، وسنجدها حاضرة في نقد مختلف الخطابات التي بُنيَّت على أساسها الحضارة الغربية؛ يتمُّ ذلك عن طريق أربع مفاهيم أساسية، يُحدِّدها "فوكو" بالتسلسل الآتي: مفهوم الحادث، مفهوم السِّلسلة، مفهوم الإطِّراد، مفهوم شرط الإمكان؛ حيث يرى "فوكو" أنَّ "الحادث يتعارض مع الخلق والإبداع، وتتعارض السِّلسلة مع الوحدة، والاطِّراد يتعارض مع الطَّريقة، وشرط الإمكان يتعارض مع الدَّلالة".

يعتمد المنهج الأركيولوجي في وصفه وتحليله ونقده للخطابات باختلافها على مجموعة من الآليات والقواعد، وهو ما بينه فوكو في كتابه أكيولوجيا المعرفة يمكن تحديدها في الخطوات التالية:

الندرة التي توظف في التحليل العباري، الندرة تعاكس مقولتي الكلية والوفرة التي تأخذها المناهج التاريخية منطلقا لها. وهذا يعني "أن ذات المؤلف عادة ما تنحصر في التحليل وتتجاوز مختلف التقنيات والموضوعات التي أبدعها الإنسان.

تحليل العبارة في خارجيتها، وفيها يرى "فوكو" أنه لابد من أن تتجه التحليلات التاريخية صوب البحث في جوهر الموضوعات وفي ثناياها الداخلية لا الخارجية، لذلك وجب الاهتمام بباطن العبارات لا بالمظهر الخارجي لها.

التراكمية: وتتمثل وظيفتها الأركيولوجيا في الكشف عن نمط الوجود الذي يميز العبارة حيث يتم الكشف عن وجودية العبارة، في حين لا يشترط مراعاة زمن تلك العبارة.

وآخر آلية في المنهج الأركيولوجي هي: القبلي التاريخي، وهي شرط أساسي لنشوء العبارات، وهي البحث في الخلفيات التي بموجبها ظهر حطاب معين في فترة تاريخية معينة.

محاضرة المنهج الفينومينولوجي: الظواهري

يُعتبر هوسرل من أهمِّ أعلام الفكر الفلسفي المعاصر، من خلال منهجه الذي وضعه ساعيًّا من ورائه إلى جعل الفلسفة خاليا من كل ما هو ميتافيزيقي،من خلال تحديد موضوعاتها ومنهجها، فقد اعتقد أنَّ منهج الظواهر –كما بَيَّن ذلك من خلال مقالته المعنونة بـ"الفلسفة كعلم محكم"– هو أنسب المناهج لهذه المهمَّة.

ومن حيث الدلالة الاشتقاقية لمصطلح الفينومينولوجيا، مصطلح ينقسم الى قسمين: فينومان ولوغوس، وبهذا الشكل يأخذ المفهوم معنى: علم الظواهر، والمعنى من هذا محاولة الوصف الموضوعي للمعرفة بالتخلي المطلق عن مجموعة الاحكام المسبقة التي من شانها ان تشوه المعنى الحقيقي للمعرفة واغراقها في المفاهيم الميتافيزيقية، وبهذا الشكل ستكون الفينومينولوجيا الدعوة للعودة الى الأساس الأول للمعرفة وهو المستوى الأنطولوجي، ومن هنا تقوم الفينومينولوجيا على ضرورة العودة الى المعاني الكامنة وراء الظواهر الأبدية للعيان، وانطلاقا من هذا كان

منهجا وصفيا حاول من خلاله هوسرل التاسيس لفهم جديد للحقيقة خلافا لما هو ساد عند الطبيعيين.

حيث يقول هوسرل في هذا السياق: "السمة الفارقة للفينومينولوجيا انها تحليل للماهية، وبحث في الماهية في نطاق اعتبار نظري محض، وفي نطاق انعطاء بالنفس مطلق. تلك هي صفتها الضرورية، فهي تعتزم ان تكون علما ومنهجا يُبيِّن الممكنات: ممكنات المعرفة وممكنات التقويم، ويبينها انطلاقا من أسس الماهية التي لها انما هي ممكنات مشكلة عموما ومباحثها تبعا لذلك هي مباحث هامة في الماهية" ومن هذه الزاوية ستكون الماهية هي جوهر البحث الظواهري، الذي يتجه صوب البحث عن كوامن الذات المدركة في اتجاهها صوب الموضوع المدرك،

وبهذا الشكل عملت الفينومينولوجيا على العودة الى الأشياء في ذاتها بالكشف عن الدلالات الكامنة وراءها، فانطلاقا من مقولة الإيبوخيا (وضع كل الأحكام بين قوسين) تتعامل الفينومينولوجيا مع الموضوعات تعاملا موضوعيا يتجاوز الاحكام المسبقة بغاية التأسيس العلمي للمعرفة بالموضوعات باختلافها.

حيث رأى هوسرل أنَّ الرُّؤيا هي المصدر الأعلى لجميع الإثباتات العقلية، وبحسب تعبيره الشعور الأصيل الذي وُهب للإنسان، فقد اعتقد أنَّ الإنسان يجب أن يتَّجه إلى الأشياء في ذاتها، وهي بمثابة القاعدة الأساسية في المنهج الفينومينولوجي، ومن هنا بنى هوسرل منهجه على فكرة القصد أو النزوع(L'intentionnalité) القائم على مبدأ الشعور، تلك العملية الحيَّة فينا؛ والمقصود من هذا، أنَّ شعورا ما هو شعور بشيء مُعيَّن، إذ لا معنى لأيِّ جهد فكري دون أن تكون هنالك أفكار، ولا معنى لرغبة ما في غياب موضوعات تلك الرغبة، لأنَّ مختلف هذه الأفكار والرغبات، هي محتوى الشعور ومقصده، ومختلف العمليات العقلية التي يقوم بها الإنسان.

يمكن رصد مجموعة من القواعد التي تقوم عليها الفينومينولوجيا عند هوسرل في النقاط التالية:

البداهة القطعية:وهي وعي الإنسان المستقل، وهي تتميز عن البداهة البسيطة باليقين المطلق .

القصدية :والمقصود بها الطابع الموجه بشكل أساسي للوعي، فالقصدية هي الصيغة الأساسية التي تميز الجانبين النفسي عن الجانب الفيزيائي، فالشعور عند هوسرل هو الذي يعطي للموضوعات المعنى التي هي عليه، فالموضوع لا يمتلك قيمة في ذاته، بل الذات التي تدركه عن طريق وعيها هي من تمنح له تلك القيمة الوجودية.

التعالي :قصد بها هوسرل أن المعنى الموضوعي ينشأ بعد الارتداد من عالم المحسوسات الخارجية المادية إلى عالم الشعور الداخلي، فالتعالي هو الأساس القبلي لكينونة الموضوع المدرك.

الماهية :تدل الماهية الفينومينولوجية على بنية الموضوع، ويبين ذلك هوسرل في قوله: "ليست هذه الأشياء الذي ينبغي الرجوع إليها هي أشياء المنهج التجريبي الذي يدعي الإلتصاق بواقع الشيء في حين أنه يحرِّفه ، لذلك فإن الغنى الحقيقي ، لا يكمن في الأوراق النقدية و لكن في ذهب الذي يغمنها"

الذاتية :وهي الفكرة التي من خلالها يتمأسس وجودنا الخاص، الذي يقوم أساسا على عملية التفكير فقد أعطى هوسرل اهتماما كبيرا للذات، بلأنَّها المحور الأساسي في عملية الفهم، و البحث عن المعنى التأسيس :التأسيس لا يعني هنا عملية إنتاج موضوع ما في العالم، بل العملية التي من خلالها يتكون معنى موضوع ما في سياق التجربة، يقول هوسرل في هذا السياق: "يجب تأسيس نظرية معرفة تكون مهمتها أساسا مهمة نقدية تهدف إلى فضح السخافات التي يقع فيها بصورة لا مفر منها التفكير الطبيعي.

الرد الفينومينولوجي:الرد الماهوي أو الفينومينولوجي هو عملة إرجاع موضوع ما إلى ماهيته الحقيقية، وهو ما يُتيح لنا إدراك العالم كظاهرة، وليس في صورة واقعه الفعلي، و إنما في واقعه

الملازم والمحايث للشعور، والمعنى من هذا، أن نفهم أن كينونة العالم لم تعد تعنى وجوده أو حقيقته بل معناه الحقيقي الذي يتجلى عن طريق الشعور.

المحايثة :المحايثة هي عكس المفارقة، وقد اعتبرها هوسرل دلاله على الاهتمام بالشيء في ذاته فتكون بالطابع الايجابي للرد الفينومينولوجي.

يتَّجه المنهج الفينومينولوجي بهذا الشَّكل، للتَّأصيل إلى ما يمكن أن يعرف وما يمكن أن نتعرَّض إليه بالشك؛ والغاية من ذلك،هي الوصول إلى وصف الماهيات وصفا دقيقا وإدراكها إدراكا يصل بنا على معرفة صادقة يقينية، وهذا لا يكون إلى بالحدس الذهني، الذي يعتبره هوسرل مجهودا ذهنيا يبذله الفكر في الانتباه إلى الموضوعات المنصبَّة في خانة التفكير، بتخليصها من تضمُّناتها التجريبية، ومنه فمعرفة الماهيات ضرورة موضوعية لابُدَّ منها في أيِّ تفكير، وهذا ما يسميه هوسرل بالرَّدِّ الماهوي، بمعنى الانتقال من ما هو تجريبي إلى فهم طبيعة الموضوع الأساسية.

يمكن القول إجمالا، أنَّالفينومينولوجيا الهوسرلية،تُعتَبر من أهمِّ المناهج الفلسفية التي أثَّرت بالفعل في حركة الفكر الفلسفي، وما يدلُّ على ذلك، هو اقتحامها لكثير من الأنساق الفلسفية المعاصرة، وعلى سبيل الذِّكرلا الحصر، اعتماد"سارتر" على هذا المنهج في تحليل مشكلة الوجود الإنساني، إضافة إلى "هيدغر" و"غادامير".

محاضرة المنهج البنيوي:

من المتعارف عليه أنَّ التطوُّر سُنَّةٌ كونية؛ لذلك فإنَّ نظْرَةَ الإنسان إلى الفنِّ والجَمالِ تَتَغيَّر أيضًا وتتطوَّر لأسباب مختلفة ومتعدِّدة، ومن مظاهر هذا التغيُّر في المجال الفلسفي: تطوُّر الإبداعات المنهجية وتعدُّد أجناسها وأنواعها، وهو تطوُّر صاحبَتْه ثورة في الأساليب والدراسات والتحليلات والقراءات. وهكذا ظهرت عدة مناهج تتبنى مبادئ معيَّنةً في مقاربة

نقد النصوص وتحليلها، ومنها المنهج البنيوي الذي عرف النور في ستينيات القرن العشرين على يد مجموعة من النقاد والفلاسفة باختلاف انتماءاتهم وحقولهم المعرفية.

تعريف البنيوية:

لتحديد مفهوم البنيوية لا بد من العودة للدَّلالة اللغوية، فبالعودة إلى المعاجم والقواميس اللغوية يتضح أن البنيويةمشتقة من بنى يبْني بناءً وبنية، وبهذا فهي تأخذ معنى الصورة أو الهيئة التي شُيِّد عليها بناءٌ معين، هذا لا يعني عملية البناء نفسها أو المواد التي تتكون منه تلك العملية، بل تعني الكيفية التي تم من خلالها جمع تلك الموادِّ وتركيبها وتأليفها لتكوين شيء ما؛ بهدف تأدية وظائف وأغراض معينة.

أما من الناحية الاصطلاحية، فالبنيوية تُعرَّف على أنَّها منهج بحث، يتناول من خلاله الباحث المعطيات التي تنتمي إلى حقل مُعيَّن من حقول المعرفة، بحيث تخضع هذه المعطيات فيما يراه البنيويون للمعايير العقلية، حيث ظهرت البنيوية كمنهج نقدي صارم في ستينيات القرن الماضي، وما أن برز هذا المنهج حتى صار موضة ذلك العصر، فتهافتت الحقول المعرفية المختلفة للأخذ به كنموذج في تحقيق الدقة واليقين في الدراسات والأبحاث باختلافها، من قبيل علم الاجتماع علم النفس الأنثروبولوجيا الادب والفلسفة.فقد سعت البنيوية إلى تحقيق الدِّقَّة في العلوم الإنسانية، على غرار النَّتائج المحصَّل عليها في العلوم الأخرى، كالفيزياء والبيولوجية مثلا، ولهذا السَّبب لاَقَى المنهج البنيوي رواجًا واسع النِّطاق في الحقول المعرفيَّة المختلفة. لهذه الأسباب فَرضت البنيوية نفسها على السَّاحة الفكرية، وغدت تُمثِّل قوامًا أساسيا ودعامة صلبة للفكر الغربي المعاصر.

هذا التَّيار الفكري الذي فتح له "دوسوسير" الأبواب انطلاقا من تحديده لموضوع اللغة، عند تمييزه بين ثنائيَّة اللغة والكلام؛ إذ اعتبر دوسوسير اللغة عبارة عن نسق منظَّم من العلاقات، مُؤَكِّدا بذلك على فكرة النسق، المكتشف من خلال دراسة العلاقات الدَّاخلية للُّغة في التَّحوُّلات الحاصلة في تلك العلاقات، بهدف الكشف عن العلاقة التي تحكم البناء

الصُّوري والواقعي للُّغة، هذه الرؤية المنبثقة من أعمال كل من دوسوسير و"جاكوبسون" و"تروبتسكوي"؛ فكانت المبادئ التي وضعها هؤلاء، بمثابة القواعد التي أرست دعائم اللِّسانيات الحديثة، ومن هنا أصبح النَّموذج الألسني قدوة لبلوغ العلمية في باقي العلوم. وانبثق عن ذلك أقطاب مُهمّين في الفكر الغربي، استثمروا ووظَّفوا الألسنية البنيوية فيمجالات شتَّى، ويمكن حصر التَّأثير البنيوي في مجالات اللغة، علم النفس، الأنثروبولوجيا والفلسفة.

أهم مصادر البنيوية وأصولها:

تأثرت البنيوية بأفكار مدرسة الشكلانيين الروس التي ظهرت في موسكو عام 1910-1915 التي امتدَّ أثرها الى حلقة براغ خلال فترة 1915 -1913، فقد ركزت هاتين المدرستين اهتمامهما على الشكل والترتيب الداخلي للنص، بعيدا عن مجموعة الظروف والإطار الخارجي التي أدَّت الى ظهور النصوص باختلافها، فالنص كان يُفسَّر على أساس انَّه انعكاس للواقع الخارجي الخاضع لتأثيرات مختلفة، فلسفية، اجتماعية وغيرها. فكاتب النص قصيدة أو نثرا، يقوم بإعادة ترتيب وتنسيق تلك الكلمات في قوالب لغوية، صياغة في شكل جديد مختلف عن السائد،وبهذا تنفي البنيوية أن يكون كاتب النص هو من أبدع تلك النصوص، فمختلف المفردات التي استعملها كاتب النص موجودة في اللغات المختلفة بحصب القواعد النحوية والصرفية للغة التي كتب بها النص.

دوسوسير واللسانيات البنيوية:

يُعتبر دوسوسير المنظِّر الأوَّل للمنهج البنيوي، من خلال محاضراته التي نشرها تلامذته بعد وفاته سنة 1916م بعنوان: "مُحَاضَرَات في الأَلسُنِيَّة العَامَّة". وتُعتبر الخطوة التي قام بها دوسوسير في مجال البحث اللُّغوي بالجريئة، لأنَّه حَدَّد المناخ الفكري والمنهجي للدِّراسات

اللغوية القادمة والمتصاعدة من اللَّبنات الأولى التي ضبط قواعدها، ويمكن تحديد مجالات البحث السُّوسيريَّة، في دراسة طبيعة اللغة واللسانيات من جهة، وعلاقة اللغة بالتَّنوُّع الاجتماعي من جهة أخرى؛ إذ تتمحور نظريَّة دوسوسير في اعتبار اللغة الأداة الصَّالحة، التي بفضلها يَتمكّن البشر من تحقيق فهم منطقي للعالم الذي يعيشون فيه، من منطلق أنَّ الفهم الصَّحيح للعالم، يعتمد أساسا على استعمال مجموع الإشارات اللفظية، التي تُعتبر البنية الأساسية في تكوين اللغة التي يستعملها الإنسان، هذا ما يُوحي إلى أنَّ وجود الذَّات محدَّدٌ باللُّغة، لكونها تُمثِّل الأداة لكلِّ معرفة يقينيَّة واضحة وصحيحة، وهي في الوقت نفسه "مجال للمعرفة، تَتمتَّع بقوانينها وبنياتها وشروط تواجدها.

وبناءا على ما سبق، شكَّلت اللغة جوهر البحث الألسني، لكونها كيان قائم بذاته، يمكن أن يُدرس دراسة تُفضي إلى نتائج علميَّة تتَّسم بالدِّقَّة واليقين، والهدف من ذلك كما يرى دوسوسير: "لا يقوم على التَّصرُّف ببنية اللغة، بل على تحديد هذه البنية ووصفها انطلاقا من هذا المبدأ باشر دوسوسير مشروعه الألسني، بداية بضبط مفهوم اللغة على أنَّها واقع قائم بذاته، أو كيان لا تُحدِّده عناصر خارجة عنه، ويتَّضح ذلك من خلال الثُّنائيات التي أبرزها في اللغة؛ بداية بتمييزه بين اللغة والكلام، مُعتبرا اللغة مؤسَّسة اجتماعية، في حين أنَّ الكلام مؤسَّسة فرديةبمعنى أنَّ اللغة هي مجموع المصطلحات المتواضع عليها من قبل مجموعة بشريَّة مُعَيَّنة، بهدف ممارسة الفعل اللِّساني، بينما الكلام فهو من يُمثِّل ويُجسِّد تلك الممارسة؛ وبمعنى آخر، يُعتبر الكلام فعل الذَّات المتكلِّمة، فموضوع اللغة يَتَحدَّد على أنَّه نسق من الرُّموز والإشارات، "يَتولَّد من التَّحديد المتبادل بين السِّلسلة السَّمعية عند المتكلم ليدلَّ على موضوع ما، والسِّلسلة التَّصوُّريَّة للموضوع المشار إليه، أو المعنى القائم في الذهن والمعنى من هذا، أنَّ الرُّموز والدَّلالات عند دوسوسير ذات وجهين اثنين، والعلامة اللغوية عبارة عن اتِّحاد وتطابق بين صورة صوتيَّة، وهو ما يُصطلح عليه بالدَّال(Signifié)، يُقابله معنى ذهني مُجرَّد وهو المدلول(Signifiant)، ومن هذا المنطلق يُقرُّ دوسوسير باستحالة الفصل بين النَّواحي الصَّوتيَّة والصُّوريَّة في اللغة، بالرَّغم من الاختلاف الجوهري بين ثنائيَّتيّ الدَّال والمدلول، لكون الدَّال يُعبِّر عن الجانب المادِّي في العلامة اللغوية، في حين أنَّ المدلول

يُعتبر من طبيعة مجرَّدة، لأنَّه تعبير عن المعنى الذي يحمله المتلقِّي في ذهنه عن الدَّال الذي استقبله؛ فالدَّلالة(Signification) أو المعنى، لا يمكن أن يتحدَّد إلَّا بالتَّلاحم بين الدَّال والمدلول، "فالكلام إذن يمثِّل نظاما سيميولوجيا متكاملا للإشارات ثنائيَّة الأوجه، ولكلٍّ منها دال ومدلول، ولا يمكن تعريف أيُّ إشارة لغوية دون الإشارة إلى كلا الوجهين".

وكنتيجة لهذا، يكون الكلام في ارتباط وثيق باللُّغة، لأنَّه نتيجة لازمة لاستعمالها، إلَّا أنَّ بينهما فروقات شتَّى، يمكن تحديدها في كون اللغة تتميَّز بالثَّبات، في حين الكلام الذي يتميَّز بالتَّغيُّر من مكان لآخر، إضافة إلى أنَّ اللغة تَتميَّز بأنَّها نِتَاجُ اجتماعي يُطبع به الفرد، وأخيرا يمكن اعتبار اللغة الجزء الاجتماعي من عمليَّة التَّكلُّم؛ ومن خلال هذه الخصائص، يتحدَّد الطَّابع اللَّاشعوري أو اللَّاواعي في اللغة، هذه الميزة التي ستأخذ مكانة المحور في الأبحاث والدراسات البنيوية اللاحقة بعد دوسوسير، كما هو الحال عند كلود ليفي ستروس في دراسة أنظمة القرابة

آخر تفرقة يقوم بها دوسوسير، والتي تُعتبر جوهر العمل في اللسانيات السُّوسيريَّة، تتمثَّل في التَّمييز بين ثنائيتي التَّزامن(Synchronique) والتَّعاقب(Diachronique) في الدِّراسات اللغوية؛ فالتَّزامنية يمكن من خلالها تحليل أيَّة لغة بعينها، "كونها منظومة من الوحدات والروابط الموجودة مع بعضها البعض"، فدراسة أيَّة لغة تكون من جانب وصفي ليس للزَّمان أي دور فيها، هذا ما يُحيل إلى دراسة اللغة وتحليلها انطلاقا من صورتها البنيوية التي تُمثِّل جوهرها؛ أمَّا فيما يخص التَّعاقب، فيعني "دراسة التَّغيُّرات التي تتداخل في تسلسل تاريخي لهذه الأنظمة، التي تتعاقب الواحد تلو الآخر في الحقبة الزَّمنيَّة الواحدة".

والمعنى من هذا، أنَّ التحليل اللغوي يُعنى بدراسة مختلف العلاقات الموجودة بين البنى اللغوية، وما يطرأ عليها من تغيُّر جرَّاء التَّغيُّرات التاريخية، وبمعنى أكثر دقَّة، إنَّ التَّعاقبيَّة هي دراسة اللغة من زاويَّة تاريخية، دراسة وصفيَّة لمختلف التَّطوُّرات التي وقعت عليها.إذ يُؤكِّد دوسوسير في هذه النقطة، على ضرورة الفصل بين هاتين الثُّنائيتين، لاستحالة وجود وسط جامع بينهما، لأنَّ التَّناقض بين وجهتي النَّظر التزامنية والتعاقبية مطلق، ولا يدع مجالا لأيَّة حلول وسطية.

يمكن القول أخيرا، أنَّ الهدف الأساسي الذي سعى إليه دوسوسير في دراسة اللغة، هو التَّعامل معها كظاهرة في ذاتها، بمعزل عن أيِّ تطوُّر تاريخي، وهذا بطبيعة الأمر اقتداء بما هو معمول به في المجال الوضعي، فكما يجب أن تُدرس الظَّاهرة كما هي على أرض الواقع دون أدنى تدخُّل للجوانب الذاتية، ينبغي أن يُنظر للُّغة على أنَّها نسق وبنية ذات صيغة رمزيَّة، فلابدَّ من التَّسليم بأنَّها لا تنطوي في ذاتها على أيَّة أبعاد تاريخية.

تابع للمنهج البنيوي

البنيوية الأنتربولوجية/كلود ليفي ستروس:

لم تنحصر البنيويَّة على المجال الألسني فحسب، بل امتدَّت الدِّراسات البنيويَّة واتَّسع مجالها إلى ميادين بحثيَّة جديدة، مثل الأنثروبولوجيا، التاريخ والفلسفة؛ ومن أبرز الذين اعتمدوا المنهج البنيوي في الدراسات الأنتربولوجية وعلم الاجتماع، نجد "كلود ليفي ستروس" (Claude Lévi-Strauss) من خلال دراسة أنظمة القرابة.

تبلورت أبحاث ليفي ستروس الأنتربولوجية من خلال مُؤلَّفه "الأنتربولوجية البنيوية"(Anthropologie Structurale)، الذي يُعتبر محاولة منهجية للكشف عن الأبنية العقلية الكلِّية العميقة، كما تتجلَّى في أنظمة القرابة والأبنية الاجتماعية الكبرى، إضافة إلى الأدب والفلسفة والرياضيات، ومختلف الأنماط النفسية اللاواعيَّة، التي تُحرِّك السُّلوك الإنساني وتُوجِّهه.

فالدِّراسات الأنتربولوجية من وجهة النَّظر البنيوية، لا ينبغي أن تقوم على أساس ملاحظة ما هو مشترك بين مختلف الثقافات، وهو المنهج المتَّبع من قبل الأنتربولوجيين قبل ستروس، بل يجب أن يُدرك ذلك التَّداخل على مستوى البناء العقلي، لأنَّ البناء هو المشكِّل والمركِّب الأساسي للعنصر الكلِّي في أيِّ ثقافة بشريَّة، وطبيعة البناء الأساسيَّة أنَّه خفيٌّ لا يبدو للعيان، ولا يمكن التَّحقُّق منه عن طريق الملاحظة، وإنَّما يكون عن طريق العقل، لأنَّ مفهوم البنية عند ستروس "لا يستند إلى الواقع التَّجريبي، بل إلى النَّماذج الموضوعة بمقتضى هذا الواقع، وهكذا يظهر الاختلاف بين مفهومين متجاورين جدًّا، بحيث وقع الالتباس

بينهما غالبا، أقصد مفهوم البنية الاجتماعية، ومفهوم العلاقات الاجتماعية، وهي المادَّة الأولى المستعملة في صياغة نماذج توضِّح البنية الاجتماعية، إذ لا يمكن إرجاع هذه البنية إلى مجمل العلاقات الاجتماعية التي تسنَّى ملاحظتها في مجتمع مُعَيَّن". ومن هذه الزَّاويَّة، يسعى التَّحليل البنيوي في ميدان الأنثروبولوجيا، لتحقيق الدقَّة في النَّتائج التي يتوصَّل إليها، نتائج تضاهي في دقَّتها المجال الرِّياضي، وبالتالي "الوصول إلى نوع من الجدول الرياضي، أو المصفوفة الجبريَّة، التي تُعبِّر عن التَّحوُّلات والتَّجمُّعات الممكنة في الذهن البشري اللاشعوري"، هذا اللاشعور الذي يتجلَّى من خلال الأساطير التي تُبدعها جماعة بشريَّة مُعيَّنة، أو في مختلف الأنماط الثقافية الموجودة في المجتمعات المختلفة.

إذا فالتحليل الأنتربولوجي البنيوي، لا يهدف إلى بيان الطريقة التي يُفكِّر بها الناس في الأساطير، وإنَّما مسائلة الأسطورة عن النسق الذي فكَّرت به، من خلال المجموعة البشرية التي أبدعت تلك الأسطورة دون وعي منهم؛ إذ يقوم الباحث الأنتربولوجي باستنطاق المسكوت عنه المتَضَمَّن في الأسطورة، فكل حكاية شعبية مهما كان مصدرها، تتضمَّن خطابًا ما؛ فمُهمَّة الأنتربولوجي البنيوي، تتمحور في تفكيك الرَّمزيَّة التِّي تتوارى بين ثنايا المدلولات ودوالها، كاشفا عن البنية الخفيَّة التي تضمَّنتها تلك الأسطورة المحَلَّلَة، وهنا تكمن نقطة التَّجديد الذي أتت به البنيوية على المستوى الأنتربولوجي؛ من خلال إسقاط مقولة الذات كونها المنتج للخطاب، والاتِّجاه إلى الأسطورة في حدِّ ذاتها، للكشف عن المستوى اللاشعوري الذي احتوته.

نتائج المنهج البنيوي:

قدَّمت البنيوية النموذج العلمي الأمثل لكثير من العلوم، على غرار الأنثروبولوجيا، حيث رأى ستروس أنَّه بظهور اللسانيات البنيويَّة، وما حقَّقته من دقَّة وصرامة، صار بإمكان العلوم الاجتماعية الأخرى أن تتخلَّص من مأزق الرَّيب في النتائج. مع العلم أنَّ الحقل الذي ركَّز عليه ستروس أبحاثه الأنتربولوجية هو الفونولوجية(Phonologie)، وهو العلم المختصُّ بدراسة الوحدات الصَّوتية من خلال وظيفتها في لغة معيَّنة، إذ يعود الأصل في تأسيسه إلى العالم الروسي"تروبتسكوي"؛ فبظهور هذا العلم من وجهة نظر ستروس، انقلبت الأوضاع في العلوم الاجتماعية، "فلم تُحدَّد فقط الآفاق اللغوية، إنَّ تَحَوُّلات بهذا الاتِّساع لم يقتصر على

علم خاص، إنَّ الفونولوجية لا يمكن أن تتخلَّف عن القيام إزاء العلوم الاجتماعية بالدور المجدِّد الذي قامت به الفيزياء النووية؛ فبتطبيق اللسانيات البنيوية في الدراسات الأنتربولوجية، يمكننا لا محالة الوصول إلى نتائج دقيقة كتلك التي نجدها في حقل العلوم الرياضية، من منطلق أنَّ الشروط الأساسية للقيام بدراسة رياضية توجد مجتمعة في علم اللغة، ولاسيَّما في علم اللغة البنيوي في بحثه من زاوية فونولوجية، فاللغة أوضح الظَّاهرات الاجتماعية التي تعرض الخاصِّيتين الأساسيتين اللَّتين شكَّلتا مادَّة دراسة عمليَّة.

نشأ المنهج البنيوي في مجال النقد مواكبةً لمتطلبات العصر وثقافته وما توصَّلت إليه المعرفة في تلك الفترة المعرفية.ومِن أهمِّ عوامل النشأة توفُّر المقدِّمات التي ذكرناها، والتي كانت من مصادر هذه المدرسة وروافدها، حيث اتفق عديد من الدارسين والباحثين على أن الشكلانية والبنيوية قد ظهرتا معًا كردِّ فعلٍ ضدَّ اللاعقلانية الرومانسية، وعلى التحليلات التي تربط كل شيء بالمجتمع وظروفه المستجدَّة، في إشارة إلى النزعة الماركسية وما انتجته من أفكار.

ومن أهمِّ الأعلام التي رفعت شعار النقد البنيوي، يمكم ذكر رولان بارت، وتزفيتان تودوروف، وجيرار جينيت، ميشيل فوكو في بداياته الفلسفية، ألتوسير، وغيرهم.

لا يعترف البنيويون بالبُعد التاريخي أو التطوُّري، إذ يَرَوْن بأنه نظام من الرموز والدلالات التي تولَد في النص وتعيش فيه وليس لها علاقة بخارجه، لهذا يعدُّون أية دراسة ذات منظور تطوري أو تعاقبي معوِّقةً لجهود الناقد الراغب في اكتشاف الأبنية التي تنطوي عليها النصوص، حيث يرى رولان بارت أنَّ اللغة أساس العمل الأدبي وعنصر نجاح كل إبداع، ومَهمة الناقد تكمن في تقديم معنى للعمل الأدبي.

انتقادات البنيوية:

غير ان البنيوية لم تصمد أمام النقد الموجَّه لها، فقد بدأت بالانهيار في أوائل السبعينيات من القرن العشرين، وظهر ما اصطلح على تسميته بما بعد البنيوية، من اهم اعلامها: رولان بارت

وجاك ديريدا، وكان بارت قد تحول عن البنيوية إلى ما بعد البنيوية، وانتقل في دراسته من أهمية الكاتب في تركيب النص الأدبي باعتماد معايير وبِنًى جاهزة الصنع، إلى دور المتلقِّي في توليد معانٍ جديدة لا نهاية لها. حيث أكَّد بارت في كتابه «متعة النص» (1975) أنه في غياب الكاتب تصبح عملية إيجاد تأويلات للنص عملية عبثية لا نهاية لها، لكنها ممتعة، وتأتي المتعة من امتلاك النص لإمكانات اللعبالمعاني، ولكن هذا لا يعني تخلِّيًا فوضويًّا عن كل القيود، وإنما تفكيكًا وهدمًا منظَّمين لإنتاج معاني جديدة، وكأن القارئ يعيد كتابة النص بطريقته الخاصة، فتنتقل العملية من الاستهلاك الى الإنتاج، وهذا ما تأسَّس عليه المنهج التفكيكي مع جاك ديريدا.

ومن أهم الانتقادات التي وجهت الى البنيوية، تلك التي وجهها الناقد البريطاني "ليونارد جاكسون"، إذ يرى أنَّ السبب الذي أودى بالبنيوية وأَمَاتَها هو أنها منهج ينطوي على الكثير من التناقضات، على الرغم من أنَّ أصحابه أرادوه أن يكون متمتِّعًا بخصائص الكمال والتماسك، في حين أنَّ أي نظرية ترمي إلى الكلِّيَّة هي مستحيلة من حيث المبدأ.

محاضرة المنهج الجدلي: هيجل نموذجا

يعتبر الجدل من أهم المناهج الفلسفية وأولاها في الظهور على الساحة الإبيستيمولوجية، فكما يُقال أنَّ الفلسفة ولدت من رحم الجدل، فقد عرف اليونان قديما منذ سقراط الجدل ومارسوه كفن في الحوار في معالجتهم للقضايا الفكرية لتي شغلتهم في تلك المرحلة، فصحيح ان سقراط قد اعتمد منهج التهكم والتوليد في مسيرته الفلسفية، لكنه لم يكن بعيدا عن الجدل بحكم ان المنهج السقراطي يقوم أساسا على السؤال والجواب، ما يعني الراي والراي النقيض، اما افلاطون فقد طور من الجدل من خلال نظريته في المعرفة، اذ قسم افلاطون الجل الى نوعين الصاعد والنازل فمن خلال نظرية المثل الافلاطونية يرى افلاطون ان النفس تسير في تدرج نحو المعرفة من المحسوس الى اللامعقول او من الأجزاء البسيط الحسية الى العقلية

الكامنة في عالم المثل الذي يعتبر المكن الحقيقي للمعرفة اليقينية، وبهذا الشكل تكون المعرفة في عملية جدلية تناوبا بين الصعود والنزول من الحسي الى العقلي والعكس،

لكن الفلسفة الحديثة عرفت ظهورا للمنهج الجدلي ولن ليس بالطريقة نفسها التي وجد فيها عند اليونان، فقد بنى ماركس فلسفته على الطريقة الجدلية وهيجل أيضا .

مفهوم الجدل:

الجدل في اللغة مشتق من الفعل جادل، ويعني مقابلة الحجة بالحجة، ومن هنا يأتي المعنى الاصطلاحي للجدل على انه المناظرة والمخاصمة كما ورد في لسان العرب لابن منظور؛ أما الجرجاني فيعرفه بقوله: الجدل: هو القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه، إلزام الخصم وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان.

غير أنَّ الجدل أو الديالكتيك، شهدالعديد من التغيرات والتحولات عبر مراحل التفكير الفلسفي المختلفة، ومن اهم الذين قدَّموا وجها جديدا للديالكتيك، نجد الفيلسوف الألماني فريديريك هيجل؛ الذي حاول أن يُعطي تصورا مثاليا خالصا للمنهج الديالكتيكي في تحليل الظواهر ودراستها، وخصوصا الظواهر والأحداث التاريخية.

الديالكتيك هند هيجل:

أخذ الديالكتيك وجها جديدا مع هيجل،الذي حاول صياغة هذه النظرية صياغة علمية شاملة في تفسير الظواهر التاريخية في حدوثها، فقد قام هيجل بوضع اهم القوانين والقواعد التي يقوم عليها المنهج الدياليكتيكي، بداية بتعريف الديالكتيك على انه الخبرة التي يحسها الوعي عن ذاته وعن الموضوع، فهو عبارة عن حركة انتقالية من اسفل الى اعلى ومن الداخل نحو الخارج، وبناء على هذا أكد هيجل على أن حقيقة الأشياء والظواهر في حالة دائمة من

التغير والحركة بشكل تطوري دائم الاستمرارية ولا يمكن تفسير التطور الحاصل في الظواهر الا عن طريق المنهج الديالكتيكي.

ومن أجل بيان الوجه الحقيق للجدل وضع هيجل مجموعة من القوانين التي يحتكم إليها الديالكتيك تتمثل فيما يلي:

قوانين الديالكتيك الهيجلي:

1_قانون التغير من الكم إلى النـوع:

يقوم هذا القانون ببيان الكيفية التي بفعلها تتعرض الظواهر للتحولات الكمية بشكل تدريجي حتى بلوغها صورة معينة، ويكون نتيجة لهذا ظهور تغيرات وتحولات نوعية في طبيعة الأشياء وخصائصها المكونة لها، من صورتها وشكلها القديم، الى صورة وشكل جديد مغاير لما كانت عليه بمعنى أنَّ مختلف التطورات التي تقع للأشياء والظواهر، تكون نتيجة حتمية وإلزامية لمجموع ما طرأ على الأشياء من تغيرات على مستوى الحالة والكمية التي يتمز بها ذلك الموضوع. كتغيُّر في خصائص الموضوع من ناحية الشكل والحجم واللون...الخ، حتى يبلغ حدًّا معينا،ليسمح له بالتغير والتطور، ومن هنا يظهر الموضوع على صورته الجديدة، صورة منافية لصورته وشكله القديم الذي كان عليه. فعندما يتعرَّض الماء مثلا الى درجة حرارة معينة، فانَّه يتغير مع الحفاظ على صيغته الكيميائية، ولكن ان بلغت درجة الحرارة حُدودا معينة، فانَّ الماء يصل إلى درجة الغليان ثم التبخُّر.

2_ قانون وحدة وصراع الأضداد:

ومعنى هذا القانون بحسب هيجل، أن الأشياء في حالة صراع وتناقض دائم، تلك الحركية من التناقض الداخلي هي التي تدفع بالأشياء نحو التغير والتحول، فمختلف الظواهر تشهد ديناميكية داخلية بين عناصرها وأجزائها المكوِّنة لها، فهذا الصراع الداخلي لمجموعة المكونات والعناصر للظاهرة يُولِّد طاقة وقوة داخلية تدفع بحركة التغير الدائم للأشياء نحو الامام، ويشير

هيجل في هذه النقطة، إلى أنَّ الصراع يمكن ان يكون داخليا بين عناصر الظاهرة، كما يمكن له أن يكون خارجيا بين ظواهر أخرى تبعا لعنصري التأثيروالتأثر، هذا الصراع الذي يعتبره هيجل المحرك الأساسي للظواهر والاحداث عبر التاريخ، وهو ما شار اليه "هيربرت ماركيوز" الذي يرى أن فكرة التناقض هي جوهر الديالكتيك عند هيجل في تحليل الظواهر المختلفة.

3_ قانون نفي النفي:

يقوم قانون نفي النفي بتحليل مجموع النتائج المستخلصة من مراحل الديالكتيك المختلفة، وهو ما عبر عنه هيجل بالأطروحة La Thèse ، وهو ما يُحيل الى وجود تعارض وتناقض داخل الفكرة او الظاهرة الواحدة وهو ما عبر عنه هيجل بـ: Antithèse وما ينتج عن هذين المقولتين المتعارضين يصطلح عليه هيجل بـ: Le Synthèse

وبهذه الكيفية يبقى قانون نفي النفي يعمل باستمرار، في حلقات متسلسلة منسجمة،في نوع من الانتظام الدائم؛ وهو ما يسمح بحدوث التغير والتطور في الظواهر المختلفة، فقد اعتبر هيجل، أنَّ الصراع بين الاطروحات، هو المحرك الأساسي والدافع الجوهري لحدوث الظواهر عبر حِقَبِ التاريخ المختلفة.

ما يمكن استخلاصه من هذا، ان فكرة التناقض عند هيجل فكرة جوهرية في تفسير الوقائعوالاحداث التي تقع عبر التاريخ، فلا يمكن ان نتصور حدوث ظاهرة دون ان تسبقها ظاهرة أخرى منافية ومناقضة لها، فان أردنا تحليل ظاهرة معينة لا يمكن ابدا فصلها عن سابقتها، وكان هناك تشابك لا انفصال فيه بين ما حدث وما سيحدث،

يمكن القول ختاماأنَّ الديالكتيك عند هيجل اتصف بالعقلية الخالصة او المثالية، اذ يقول هيجل في كتابه فينومينولوجيا الروح: "كما اننا في فينومينولوجيا الروح بدانا بالوعي المباشر، وبما اننا في ميدان العلم الخالص فلا بد أن نبدأ بالمباشرة الخالصة، والمباشرة الخالصة هي الوجود الخالص" وعلى هذا الأساس وُصفت نظرية الديالكتيك الهيجلي بـ " النظرية الديالكتيكية المثالية".

المراجع يمكن الرجــوع اليها:

01_ بول فيراباند، العلم في مجتمع حر، ترجمة السيد نفادي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، سنة 2000.

02_ بول فيراباند، ثلاثة محاور في المعرفة، ترجمة مُحَّد أحمد السيد، مكتبة الإسكندرية.

03_ جاك ديريدا، الكتابة والاختلاف،

04_ عبدالله إبراهيم، نقد المركزية الغربية، إشكالية التكون والتمركز حول الذات، المركز الثقافي العربي، ط1، الدار البيضاء، سنة 1997.

05_ مسارات فلسفية، تأليف مجموعة من الكتاب، ترجمة مُحَّد ميلاد، دار الحوار للنشر والتوزيع،

06_ إمام عبد الفتاح إمام، المنهج الجدلي عند هيجل، دار المعارف، مصر، 1969.

07_ روجي غارودي، فكر هيجل، ترجمة إلياس مرفص، دار الحقيقة، بيروت، 1983.

08_ الزواوي بغورة، المنهج البنيوي،

09_ إديث كريزويل، عصر البنيوية، (تر: جابر عصفور)، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1993.

10_ زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، أو أضواء على البنيوية، مكتبة مصر، القاهرة، 1976.

11_ جون شوك، البنيوية وما بعدها، ترجمة مُحَمَّد عصفور،عالم المعرفة، المجلس الوطن للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سنة 1996

12_ الزواوي بغورة، المنهج البنيوي، بحث في الأصول والمبادئ والتطبيقات، دار الهدى، الجزائر، ط1، سنة 2001م

13_ الطاهر وعزيز، المناهج الفلسفية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، سنة 1990م

14_ فيرديناند دوسوسير، محاضرات في الألسنية العامة.

15_ كلود ليفي ستروس، الأنتربولوجية البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق سنة 1977